



لو كتبت مقالتي هذه للتعليق على اتفاق إيران والخمسة + 1، ولما تهـب «عاصفة الحزم»، لكتبت مقالة محبطـة تعـبر عن رأـي سعودي محـبطـ، ربما تكون أـيـضاـ استـسـلامـية تـتـدـثر بـوـاقـعـةـ الـأـمـرـ الـوـاقـعـ، أوـ غـاضـبـةـ نـاقـمـةـ منـ ضـعـفـنـاـ نـتـيـجـةـ لـخـبـطـةـ الـأـوـلـيـاتـ فـانـصـرـفـنـاـ عـنـ التـهـديـدـاتـ الـحـقـيقـيـةـ إـلـىـ خـلـافـاتـ تـافـهـةـ.

ولـكـنـنيـ أـكـتـبـهاـ الـآنـ بـيـنـماـ أـسـتـمـعـ لـلـعـمـيدـ أـحـمـدـ عـسـيرـيـ النـاطـقـ بـاسـمـ الـقـوـاتـ الـمـسـلـحـةـ الـسـعـوـدـيـةـ الـتـيـ تـقـوـدـ تـحـالـفـ «ـعـاصـفـةـ الـحـزمـ»ـ الـهـادـفـ إـلـىـ تـقـلـيمـ أـظـافـرـ إـيـرـانـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ، وـهـوـ يـقـولـ بـثـقـةـ:ـ «ـإـذـاـ كـانـ هـنـاكـ مـسـتـشـارـوـنـ إـيـرـانـيـوـنـ أـوـ مـنـ «ـحـزـبـ الـلـهـ»ـ مـعـ الـحـوـثـيـيـنـ فـسـيـلـقـوـنـ الـمـصـبـرـ نـفـسـهـ»ـ.ـ إـذـاـ لـاـ مـكـانـ فـيـ الـيـمـنـ الـآنــ وـبـالـتـالـيـ غـيـرـهـاـ مـنـ بـلـادـ الـعـرـبـ لـاحـفـاــ لـمـسـتـشـارـيـنـ إـيـرـانـيـيـنـ أـوـ مـنـ يـتـبـعـونـهاـ مـنـ مـيـلـيـشـيـاـ يـقـتـلـوـنـ وـيـخـيـفـوـنـ وـيـفـرـضـوـنـ رـؤـيـتـهـمـ الـطـائـفـيـةـ عـلـىـ مـسـتـقـبـلـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـبـالـتـالـيـ لـمـ أـعـدـ أـشـعـرـ بـاـهـتـمـامـ شـدـيدـ إـنـ تـوـصـلـ الـأـمـرـيـكـيـوـنـ وـالـأـوـرـيـبـيـوـنـ إـلـىـ اـتـفـاقـ مـعـ إـيـرـانـ يـعـطـيـهـاـ الـحـقـ بـالـاسـتـمـرـارـ بـمـشـرـوـعـهـاـ الـنـوـوـيـ «ـالـسـلـمـيـ»ـ وـيـرـفـعـ عـنـهاـ الـعـقـوبـاتـ كـلـيـاـ أـوـ جـزـئـيـاـ أـمـ لـمـ يـتـفـقـوـ.

فـالـذـيـ يـشـغـلـنـيـ بـصـفـتـيـ مـوـاطـنـاـ سـعـوـدـيـاـ هوـ هـذـاـ التـمـدـدـ الـإـيـرـانـيـ،ـ الـذـيـ يـهـدـدـ أـمـنـاـ الـإـقـلـيمـيـ وـالـمـحـلـيـ،ـ وـيـغـيـرـ هـوـيـتـنـاـ بـالـقـوـةـ وـالـتـخـوـيـفـ،ـ وـيـصـادـمـ تـطـلـعـاتـ شـعـوبـ الـمـنـطـقـةـ إـلـىـ السـلـامـ وـالـحـرـيـةـ وـالـحـقـ فـيـ الـاـخـتـيـارـ.ـ لـقـدـ فـشـلـتـ إـيـرـانـ فـيـ كـلـ الـمـبـادـئـ الـتـيـ أـعـلـنـتـهـاـ ثـورـتـهـاـ إـلـيـلـامـيـةـ بـأـنـهـاـ مـعـ الـمـسـتـضـعـفـيـنـ وـالـوـحـدـةـ إـلـيـلـامـيـةـ وـالـحـرـيـةـ.ـ فـيـ سـوـرـيـةـ وـقـفـواـ مـعـ دـيـكـتـاتـورـ،ـ وـفـيـ الـعـرـاقـ اـصـطـفـواـ طـائـفـيـاـ،ـ وـفـيـ الـيـمـنـ كـذـلـكـ وـخـطـطـوـ لـانـقـلـابـ يـفـرـضـ فـصـيـلـاـ بـالـقـوـةـ عـلـىـ كـلـ اـخـتـيـارـاتـ الـشـعـبـ.ـ الـمـؤـلـمـ أـنـهـمـ بـدـوـاـ،ـ وـطـوـالـ عـقـدـ كـاـمـلـ،ـ مـاـضـيـنـ مـنـ نـجـاحـ إـلـىـ آـخـرـ،ـ وـالـعـالـمـ يـعـجـبـ بـالـنـاجـحـيـنـ وـالـمـنـتـصـرـيـنـ حـتـىـ لـوـ لـمـ يـحـبـهـمـ،ـ كـهـذـاـ بـدـتـ تـعـليـقـاتـ بـعـضـ الـمـحـالـيـنـ السـيـاسـيـيـنـ الـأـمـيـرـكـيـيـنـ وـهـمـ يـدـعـوـنـ إـلـىـ صـفـحةـ جـدـيـدـةـ مـعـ إـيـرـانـ.

إـنـهـ الـقـوـةـ الـصـاعـدـةـ،ـ الـتـيـ تـقـولـ وـتـفـعـلـ،ـ وـيـمـكـنـ الـاعـتـمـادـ عـلـيـهـاـ فـيـ الـحـرـبـ عـلـىـ «ـدـاعـشـ»ـ وـالـإـرـهـابـ،ـ وـإـعادـةـ الـاسـتـقـرـارـ إـلـىـ الـمـنـطـقـةـ.ـ لـاـ يـزالـ فـيـ أـمـيـرـكـاـ مـنـ يـرـىـ الـمـنـطـقـةـ بـمـنـظـارـيـنـ فـقـطـ:ـ مـحـطةـ الـنـفـطـ،ـ وـأـمـنـ إـسـرـائـيلـ،ـ فـكـانـ هـذـانـ هـمـاـ مـحـركـ الـتـفـاـوـضـ مـعـ الـإـيـرـانـيـيـنـ فـيـ مـفـاـوـضـاتـ جـنـيـفـ وـالـآنـ لـوزـانـ،ـ يـرـونـ فـيـ رـفـعـ الـعـقـوبـاتـ عـنـ إـيـرـانـ مـاـ يـحـولـهـاـ إـلـىـ شـرـيكـ اـقـتـصـادـيـ،ـ تـفـرـكـ الـشـرـكـاتـ الـأـمـيـرـكـيـيـنـ أـيـدـيـهـاـ وـهـيـ تـقـرـأـ دـرـاسـاتـ الـفـرـصـ الـاـقـتـصـادـيـةـ الـمـقـبـلـةـ بـعـدـ خـرـوجـ هـذـاـ جـنـيـ الـاـقـتـصـادـيـ الـإـيـرـانـيـ مـنـ قـمـقـ الـعـقـوبـاتـ،ـ أـمـاـ إـسـرـائـيلـ فـإـنـ الشـرـوـطـ الـتـيـ سـتـضـعـهـاـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ عـلـىـ الـمـشـرـوـعـ الـنـوـوـيـ الـإـيـرـانـيـ كـافـيـةـ لـجـعـلـهـ سـلـمـيـاـ،ـ مـعـ

بقاء خيار العقاب العسكري لإسرائيل والولايات المتحدة لو ثبت لها أن إيران تخاللها وتمضي في مشروع سري لتصنيع قنبلة نووية. التطوير بات مسألة من الماضي، إذ يجمع الخبراء أن إيران تمتلك اليوم المعرفة والتقنية الكافية. أما العرب وأهل الخليج، يسأل الأميركي، فأين سيذهبون؟ لا خيار لديهم غير قبول الأمر الواقع والاستمرار في تصدير مزيد من النفط وشراء مزيد من الأسلحة!

لقد تجاهل المزاج الأميركي كل أسباب الفلق السعودي من التمدد الإيراني. كانوا يتعاملون معنا بمنطق «هذه مشكلاتكم الطائفية القديمة التي لم تستطعوا حسمها خلال ألف عام، فلا تشغلوна بها». لم يلتفتوا بشكل جاد إلى كل الانتهاكات الإيرانية لمبادئ القانون الدولي وقواعد حسن الجوار، لم يهمهم تغلغل الإيرانيين في الأجهزة الأمنية العراقية حتى أصبحت تدار من طهران مباشرة، ولا دخولآلاف الإيرانيين وميليشيات طائفية يجلبونها حتى من أفغانستان إلى سوريا لقتل سوريين يريدون الحرية والخلاص من الديكتاتور، لم يتحركوا لمنع «حزب الله» من أن يرسل رجاله وأسلحته إلى سوريا، وهو وفق أي تعريف قانوني لا يمكن إلا أن يكون قوة عسكرية مارقة خارجة على سلطة الدولة اللبنانية.

لم يوقفوا طائرة إيرانية واحدة يعلمون أنها محمّلة بأحدث أنواع الأسلحة وهي تتجه إلى سوريا، حيث منطقة صراع أعلنوا غير مرّة منفردين أو من خلال الأمم المتحدة بضرورة حظر الأسلحة عنها، وكذلك إلى اليمن، حيث السفن تنقل الأسلحة، وطائرات إلى صنّاع تحمل مستشارين ومدربين، وربما مزيداً من المتعصّبين الشيعة الذين احترفوا القتل الطائفي في العراق وسوريا. تعلم أميركا أن كل هذا يهدّد الأمن القومي لحليفتها السعودية، ولكنها ببساطة اكتفت بسحب جنودها من قاعدة العند القريبة من عدن بعدما بدا أن الحوثيين على وشك أن يطبقوا عليها، ومضوا بعيداً بلا مبالاة عجيبة.

قبل نحو العامين، كنت في إسطنبول مشاركاً في إحدى دورات المنتدى الاقتصادي العالمي، في حلقة حوار عن التهديدات الأمنية في المنطقة. قلت، إن الولايات المتحدة تحمل مسؤولية سقوط عشرات الآلاف في سوريا، بقدر لا يقل عن روسيا والصين اللتين صوتتا بالفيتو أكثر من مرة لمنع التدخل هناك، فأميركا أيضاً تمنع السعودية وتركيا وقطر من توفير أسلحة نوعية للمعارضة السورية، أهمها الصواريخ الحرارية التي كان يمكن أن تحد من قدرة الطيران السوري الذي استمرأ، بعدما أمن العقاب، قصف المدنيين في المناطق المحررة لأهداف عقابية وليس عسكرية. بدا كلامي مزعجاً لباحث أميركي مشارك متخصص في الشؤون الدفاعية وصديق مفترض للمملكة، فقال بحدة «أنت لديكم طائرات إف 16 وسلاحكم الجوي أقوى بمراحل من القوات الجوية السورية، لم لا تأخذون زمام المبادرة؟».

سكُتْ على مرضن، ذلك أنتي كنت معتقداً أننا لا نستطيع فعل ذلك من دون غطاء دولي، وتحديداً أميركي، بل حصلت على معلومات وقتها تؤكّد منع الأميركيين السعوديين وقطر من إرسال شحنة صواريخ «مان باد» الحرارية للسوريين كان يمكن أن تغّير موازين المعركة وتنقذ أرواحاً كثيرة.

من الواضح أن هذا العجز هو خبر من ماض سحيق، فلقد دفعتنا « العاصفة الحزم »، وخلال 10 أيام فقط ومعنا كل المنطقة، إلى مستقبل مختلف متقدم بأعوام عده.

بالناتي لم يعد مهماً أوقعوا أم لم يوقعوا، سالمو إيران أم حاربوها، المهم أن المملكة استعادت الزمام لنفسها والمنطقة، فبدت ماضية في مشروعين مهمين: الأول سحب البساط بالكامل من تحت أرجل إيران في حيزنا العربي، والثاني لا يقل أهمية، إذ أكد لي مصدر مطلع أن سياسة المملكة حيال الطاقة النووية ستخالف تماماً فور توقيع أي عقد مع إيران، فكل ما ستحصل عليه من الدول الكبرى من منشآت وتقنيات والمقدار المسموح به لتخصيب اليورانيوم وعدد أجهزة الطرد المركزي ستعتبره المملكة حقاً لها أيضاً تسعى من خلاله لتطوير برنامجها النووي.

إنه توازن القوى الذي يضمن السلام من حماقات مغامر يريد إعادة صوغ التاريخ والجغرافيا.

الحياة اللندنية

المصادر: